

الباب الأول

الكلام والقول واللغة واللهجة والصلته بينها

1. The first part of the document is a list of names and titles, including 'The Hon. Mr. Justice G. D. C. ...' and 'The Hon. Mr. Justice ...'.

2. The second part of the document is a list of names and titles, including 'The Hon. Mr. Justice G. D. C. ...' and 'The Hon. Mr. Justice ...'.

الكلام والقول

لا يستطيع باحث أن يفرق بين الكلام واللغة أو يعزل أحدهما عن الآخر «فقد اتفق الفلاسفة واللغويون على أن الإنسان لا يستطيع أن يفرق بين فكرتين تفريقاً حقيقياً بلا علامات لغوية أى كلمات فالتفكير بلا كلمات عائم»^(١)، «والكلمات أهم مكونات اللغة وتسمى وحدات لها»^(٢)، «وما يسميه النحاة أقسام الكلام وهم يقصدون الاسم والفعل والحرف ليس فى الواقع إلا أقسام اللغة فقول صاحب الألفية الكلام وما يتألف منه يجب أن يصير إلى: اللغة وما تتألف منه»^(٣)، «الكلام الذى هو نشاط إنسانى نطقى نتيجة لإرادة المتكلم» يعد الباعث لكلمات اللغة بحيث يجعلها حية بعد موتها ووجودها فى طوايا العقل أو المعاجم، فاللغة بمادتها المكونة لها توجد فى القواميس أو تختزن فى عقل الجماعة الإنسانية التى تتخذها وسيلة للتفاهم ولها قواعد خاصة يفهمها أصحابها ويراعونها فى استعمالهم من ناحية النظام الصوتى والصرفى والنحوى، واللغة بهذا الوصف تسمى «باللغة المعينة»^(٤) التى هى نتاج جمعى يستعمله الأفراد «وللكلام علاقة باللغة المعينة ولذلك يجب أن يدخل فى الدراسة لأنه الجانب العملى منها»^(٥)، وفى الدراسات الصوتية الحديثة يستخدم الكلام طريقاً لمعرفة الاتجاهات الصوتية فى لغة ما أو لهجة ما وتلك من أبرز الوسائل الناجحة لمعرفة حقائق صوتية لم يهتد الباحثون إليها من خلال الدراسات القديمة تبعاً لأن دراسة القدماء بنيت على الوصف النظرى للأصوات دون تطبيق عملى لها - فى معظم الأحيان - لعدم توافر الأجهزة الحديثة لديهم.

(١) مناهج البحث فى اللغة ص ٢٤٤.

(٢) المصدر السابق ص ٣٩.

(٣) المصدر السابق ص ٤٠.

(٤) اللغة (فندريس) ص ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥.

(٥) مناهج البحث فى اللغة ص ٣٢-٣٥.

وعلماء العربية القدامى فى تناولهم للكلام والقول لا يأتون بمتكلمين ليسجلوا أقوالهم ويطبقوا عليها وإنما يبحثون المسألة من وجهة نظر أخرى هى بيان معنى كل منهما وهل له صلة باللغة أو لا ؟ ولا ريب أنهم مصيبون فى بحثهم إذ الكلمات - كما رأينا - هى مكونات اللغة وأساسها وقد عرض ابن جنى للكلام والقول على طريق الاشتقاق الأكبر محللاً معنيهما وتصرفاتهما والفرق بينهما ومعللاً كل ذلك بما يعنى له من أسباب وقد مزج بين طريقى النحويين واللغويين فى ذلك .

الكلام: عرف الكلام بأنه «كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه وهو الذى يسميه النحويون الجمل نحو: زيد أخوك، وقام محمد، وضرب سعيد، وفى الدار أبوك، وصه، ومه، ورويد، وحاء، وعاء، فى الأصوات وحس ولب وأف وأوه، فكل لفظ استقل بنفسه وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام»^(١)، وقال: إن الكلام اسم من كَلَّمَ بمنزلة السلام من سلّم وهما بمعنى التكليم والتسليم وهما المصدران الجاريان على كَلَّمَ وسلّم، قال الله سبحانه ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] وقال عز اسمه ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]^(٢) وهو جنس للجمل المركبة لأدلة:

١- أن العرب حددوا للدلالة على الواحد لفظ (كلمة).

٢- أن المصدر كذلك حاله، فإذا قيل: قام محمد فهو كلام وإذا قيل: قام محمد وأخوك جعفر فهو أيضاً كلام كما كان لما وقع على الجملة الواحدة كلاماً وإذا قيل: قام محمد وأخوك جعفر وفى الدار سعيد فهو أيضاً كلام كما كان لما وقع على الجملتين كلاماً وهذا طريق المصدر لما كان جنساً لفعله، ألا ترى أنه إذا قام قومة واحدة فقد كان منه قيام وإذا قام قومتين فقد كان منه قيام وإذا قام مائة قومة فقد كان منه قيام، فالكلام إذن إنما هو جنس للجمل التوام مفردها ومثناها ومجموعها كما أن القيام جنس للقومات مفردها ومثناها ومجموعها، فنظير القومة الواحدة من القيام الجملة الواحدة من الكلام.

(١) الخصائص ١/١٧ .

(٢) المصدر السابق ١/٢٥ .

٣- استعملت العرب لفظ (كلام) وما بمعناه من كلمة حديث ومنطق في أشعارها في مقام الشجو وأحاديث المحبين «ومعلوم أن الكلمة الواحدة لا تشجو ولا تحزن ولا تتملك قلب السامع، إنما ذلك فيما طال من الكلام وأمتع سامعيه بعذوبة مستمعه ورقة حواشيه» وقد ساق ابن جنى أمثلة كثيرة لهذا الاستعمال من أشعار العرب كقول كثير عزة:

لو يسمعون كما سمعت كلامها خروا لعزة رگعا وسجودا

وقول الراعى:

وحديثها كالغيث يسمعه راعى سنين تتسابت جديدا

فأصاخ يرجو أن يكون حيا ويقول من فرح هيا ربا

وقول ذى الرمة:

لها بشر مثل الحرير ومنطق رخيم الحواشى لا هراء ولا نزر

وقد عقب على كل مثال ذكره بما يوضح أن لفظ الكلام أو الحديث أو المنطق لا بد أن يكون عبارة عن «كلام مفيد مستقل بنفسه ولو بجملته واحدة فإن نقص عن ذلك لم يكن هناك استحسان ولا استعذاب» بل إن كل مقام من المقامات التي ذكرها الشعراء يستدعى جملا كثيرة حتى يتحقق لكل منهم ما أراد^(١).

٤- يقتضى اختصاص الكلام بالجمل التامة المستقلة بنفسها اشتقاق لفظ الكلام فهو - كما يرى ابن جنى - من الكلم والكلام والكلوم وهى الجراح لما يدعو إليه ولما يجنيه فى أكثر الأمر على المتكلمة^(٢)، قال: (وجرح اللسان كجرح اليد) ومنه قوله:

قوارص تأتبنى ويحتقرونها وقد يملأ القطر الإناء فيفعم

وإنما ينقم من القول ويحقر ما يشى ويؤثر وذلك ما كان منه تاما غير ناقص ومفهوما غير مستبهم، وهذه صورة الجمل وهو ما كان من الألفاظ قائما برأسه غير

(١) المصدر السابق ١/ ٢٧ - ٣٢.

(٢) يقصد المتكلمين.

محتاج إلى متمم له فلهذا سموا ما كان من الألفاظ تاماً مفيداً كلاماً لأنه في غالب الأمر وأكثر الحال مُضِرّاً بصاحبه وكالجرح له^(١).

هذا البيان كان دفاعاً عن معنى الكلام على الطريقة النحوية، ثم قرن ابن جنى ذلك ببحث مادة (ك ل م) وتقلباتها على الطريقة اللغوية فتعرض لمادة (ك ل م) وتقلباتها على طريقة الاشتقاق الأكبر الذي يعد هو مبتكره فبين أنها «حيث تقلبت فمعناها الدلالة على القوة والشدة والمستعمل منها أصول خمسة هي: (ك ل م) - (ك م ل) - (ل ك م) - (م ك ل) - (م ل ك) وأهملت منه (ل م ك) فلم تأت في ثبت.

فالأصل الأول (ك ل م) يأتي منه الكلم وما تصرف منه بمعنى الجرح والكلام ما غلظ من الأرض وفي كل ذلك شدة وقوة، ومنه:

(عليها الشيخ كالأسد الكلم)

إذا جرح فحمى أنفاً وغضب فلا يقوم له شيء، ومنه الكلام وذلك أنه سبب كل شر وشدة في أكثر الأمر ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ: «من كُفِيَ مَثُونَةٌ لقلقه وقببه وذنبه دخل الجنة»^(٢)، ومنه قول أبي بكر رضي الله عنه في لسانه: «هذا أوردني الموارد» وهو باب واسع.

والثاني: (ك م ل) كمل الشيء - مثلثة الميم - فهو كامل وكميل وعليه بقية تصرفه والتقاؤها: أن الشيء إذا تم وكمل كان حيثئذ أقوى وأشد منه إذا كان ناقصاً غير كامل.

والثالث: (ل ك م) اللكم إذا وجأت الرجل ونحوه ولا شك في شدة ما هذه سبيله.

والرابع: (م ك ل) منه بثر مكول إذا قل ماؤها، قال القطامي:

(كأنها قلب عادية مكل)

فالبثر إذا قل ماؤها كره موردها وجفا جانبها وذلك شدة ظاهرة.

(١) الخصائص ١/٣٢.

(٢) اللقلق: اللسان، القبقب: البطن، الذبذب: الفرج. الجمهرة ١/١٢٦ وانظر كلام ابن جنى بالخصائص ١/١٤.

والخامس: (م ل ك) منه ملكت العجيين عجنته فاشتد وقوى ومنه ملك الإنسان،
ففيه قدرة للمالك عليه^(١).

وبذلك يكون ابن جنى قد فسر مادة (ك ل م) وأبان عن معنى الكلام بما يفيد
أنه عبارة عن «الألفاظ برؤوسها المستغنية عن غيرها وهي التي يسميها أهل هذه
الصناعة الجمل على اختلاف تركيبها»^(٢).

القول: عرف القول بأنه كل لفظ مذل به اللسان تاما أو ناقصا فالتام هو المفيد
أعنى الجملة وما كان في معناه نحو: صه وإيه والناقص ما كان بضد ذلك نحو زيد
ومحمد وإن، وكان أخوك إذا كانت الزمانية لا الحديثة فكل كلام قول وليس كل
قول كلاما^(٣) هذا هو حقيقة معناه ثم إنه يستعمل مجازا بمعنى الاعتقاد والرأى
فيقال: هذا قول فلان أى رأيه ومعتقده «وفلان يقول بقول أبى حنيفة ويذهب إلى
قول مالك أى يعتقد ما كانا يريانه ولا يراد بذلك أنه يحكى لفظهما عينه من غير
تغيير لشيء من حروفه ومثل ذلك أن تقول فى رفع زيد بالابتداء فى قولنا: زيد
قام أبوه، هذا قول البصريين أى رأيهم وفى رفعه بما يعود عليه من ذكره هذا قول
الكوفيين وأنت تريد بذلك اعتقادهم لا نفس حروفهم وإلا فإن عبارة القائل قد
تتغير والمراد الرأى لا العبارة^(٤) ولا يصح هذا كلام أبى حنيفة أو كلام البصريين
أو كلام الكوفيين إذ الكلام يتعلق بالألفاظ الصادرة عن كل منهم ولا علاقة له
بالرأى والاعتقاد وذلك تخصيص وضعى لغوى^(٥) وصح إطلاق القول على
الاعتقادات والآراء لأنها تخفى فلا تظهر إلا بالقول فهى سبب له والقول دليل
عليها كما يسمى الشيء باسم غيره إذا كان ملايسا له ومثله فى الملابس قول الله
سبحانه: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم: ١٧] فمعناه -والله
أعلم- أسباب الموت إذ لو جاءه الموت نفسه لمات به لا محالة ومنه تسمية المزايدة

(١) الخصائص ١٣/١-١٧.

(٢) المصدر السابق ٣٢/١.

(٣) المصدر السابق ١٨/١.

(٤) المصدر السابق ١٧/١.

(٥) ولهذا يصح أن تقول كلام فلان... إلخ إذا وضعت الكلام موضع القول متجاوزا بذلك. الخصائص

١٨/١ وجواز ذلك فى القول دون الكلام مجرد اتجاه إلى الأليق فقط. الخصائص ٢٠/١.

الراوية والنجو نفسه الغائط وهو كثير^(١)، وتدور مادة (ق و ل) وتصرفاتها حول الخفوف والحركة وتصرفاتها الستة كلها مستعملة.

الأصل الأول: (ق و ل)، وهو القول فالقم واللسان يخفان ويقلقان ويمذلان به.
الأصل الثاني: (ق ل و)، منه القلو حمار الوحش وقلوت الشيء وكل ذلك فيه إسراع وخفة.

الأصل الثالث: (و ق ل)، منه الوقل للوعل لأنه يصعد الجبل بحركة وسرعة.

الأصل الرابع: (و ل ق)، قالوا: ولق يلق إذا أسرع.

الأصل الخامس: (ل و ق)، منه لوق الطعام واللوق الزبدة وذلك فيه تحريك وخفة وإسراع.

الأصل السادس: (ل ق و) منه اللقوة للعقاب لخفتها وسرعة طيرانها، ومنه اللقوة في الوجه كأن اضطراب شكله بها جعله في خفة وطيش، واللقوة الناقاة السريعة اللقاح، وكل ذلك يتضح فيه معنى الخفة والسرعة والحركة^(٢).

مقارنة بين الكلام والقول:

أوضح ابن جنى من خلال حديثه السابق فروقا وصلات بين الكلام والقول واستعمال كل منهما:

١- مادة (كلم) تدور حول الشدة والقوة، على حين تدور مادة (قول) حول الخفوف والحركة.

٢- الكلام يستعمل في الألفاظ المستقلة المفيدة والقول أعم فيستعمل فيما يكون مفيدا أو غير مفيد، وقد نبه على ذلك سيبويه حين قال: «واعلم أن قلت في كلام العرب إنما وقعت على أن يحكى بها وإنما يحكى بعد القول ما كان كلاما لا قولاً»^(٣)، ثم قال في التمثيل: «نحو قلت زيد منطلق» فهذا يعنى أن الكلام

(١) الخصائص ١٩/١، ٢٠.

(٢) المصدر السابق ١/٥-١١.

(٣) الكتاب ١/٦٢.

الذى يحكى بالقول لا يصدق إلا على التام المستقل المعنى «وأن القول لا يستحق هذه الصفة»^(١).

٣- الكلام لا يستعمل فى الاعتقادات والآراء والقول يستعمل فيها، ومن أدل الدليل على الفرق بين الكلام والقول إجماع الناس على أن يقولوا القرآن كلام الله ولا يقال القرآن قول الله وذلك أن هذا موضع ضيق متحجر لا يمكن تحريفه ولا يسوغ تبديل شيء من حروفه فعبر لذلك عنه بالكلام الذى لا يكون إلا أصواتاً تامة مفيدة وعدل به عن القول الذى قد يكون أصواتاً غير مفيدة وآراء معتقدة^(٢)، وإنما عبروا عن الاعتقادات والآراء بالقول دون الكلام «من حيث كان القول بالاعتقاد أشبه منه بالكلام وذلك أن الاعتقاد لا يفهم إلا بغيره وهو العبارة عنه كما أن القول قد لا يتم معناه إلا بغيره، ألا ترى أنك إذا قلت قام وأخليت من ضمير فإنه لا يتم معناه الذى وضع فى الكلام عليه لأنه إنما وضع على أن يفاد معناه مقترنا بما يسند إليه من الفاعل وقام هذه نفسها قول وهى ناقصة محتاجة إلى الفاعل كاحتياج الاعتقاد إلى العبارة عنه فلما اشتبهت من هنا عبر عن أحدهما بصاحبه وليس كذلك الكلام لأنه وضع على الاستقلال والاستغناء عما سواه والقول قد يكون من الفقر إلى غيره على ما قدمناه فكان إلى الاعتقاد المحتاج إلى البيان أقرب وبأن يعبر به عنه أليق^(٣)، واختصاص القول بالاعتقاد والرأى تخصيص لغوى وضعى كما ذكرت فيما سبق لمجرد أنه الأليق به من ناحية المعنى ولذلك صح استعمال الكلام فيه أيضاً ألا ترى إلى قول رؤبة:

لو أننى أوتيت علم الحكل علم سليمان كلام النحل
فحديث النحل أشبه بالاعتقاد فكان الأجدر به القول إلا أنه أوقع الكلام
موقعه^(٤).

(٢) المصدر السابق ١٨/١.

(١) الخصائص ١٩/١.

(٣) المصدر السابق ٢٠/١.

(٤) انظر تعقيب الأستاذ النجار فى الخصائص ٢٢/١.

٤- يستعمل كل من الكلام والقول مجازا في الأصوات غير الإنسانية ومما جاء منه في الكلام:

فصبحت والطيير لم تكلم جابية^(١) طمت بسيل مفعم
ومن استعمال القول في مثل ذلك:
قالت له الطير تقدم راشدا إنك لا ترجع إلا حامدا

امتلاً الحوض وقال قطنى

بينما نحن مرتعون بفلج قالت الدلح الرواء إنيه
وقالت له العينان سمعا وطاعة وأبدت كمثل الدر لما يشقب

وذلك كثير في القول دون الكلام لسعة مذاهب القول عن الكلام حتى يشمل المفيد وغيره «وإذا جاز أن نسمى الرأى والاعتقاد قولاً وإن لم يكن صوتاً كانت تسمية ما هو أصوات قولاً أجدر بالجواز ألا ترى أن الطير لها هدير والحوض له غطيط والسحاب له دوى فأما قوله:

(وقالت له العينان سمعا وطاعة)

فإنه وإن لم يكن منهما صوت فإن الحال آذنت بأن لو كان لهما جارحة نطق لقاتلا سمعا وطاعة وقد حرر هذا الموضع وأوضحه عنترة بقوله:

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكان - لو علم الكلام - مكلمى
وامثله شاعر آخر فقال:

فلو قدر السنان على لسان لقال لك السنان كما أقول^(٢)

فالكلام والقول وما يعبران عنه وما اشتقا منه وما دارا حوله من معنى فيه أصوات وحركات ينجم عنها أصوات تتضح من استعراض حديث ابن جنى السابق عنهما، ويؤخذ من هذا كله أن ما يسمى بالكلام والقول هو عبارة عن مجموعة

(١) الجابية: الحوض الضخم وطمت: غمرت. يقال: طم الماء بطم طما وطموما: علا وغمر وجاء السيل فطم كل شيء: أى علاه. انظر اللسان (طم) ج ١٥ / ٢٦٢، ٢٦٣، (جبي) ١٨ / ١٤٠.
(٢) الخصائص ١ / ٢٢-٢٥.

من الأصوات تتجزأ إلى مجموعات صغيرة يمكن أن تسمى كل منها وحدة صوتية وهذه الوحدة الصوتية تأتلف مع أختها في التركيب لتكوّن معنى من المعاني المرادة للمتكلم، هذه الوحدة هي ما يعرفه علماء اللغة والنحو باسم الكلمة وكل كلمة مركبة من مجموعة من الأصوات الفردية التي تجتمع هي الأخرى لتكوّن هذه الوحدة الصوتية المركبة الدالة على المعنى المراد منها والذي وضعها له المجتمع المعين، فالنحاة يجعلون الكلام الذي هو الألفاظ المفيدة تعبيراً صوتياً ونشاطاً يرمز مفهومه إلى أجزاء ثلاثة هي: الاسم والفعل والحرف، وكل منها يسمى في عرف العلماء، كلمة، قال ابن مالك:

كلامنا لفظ مفيد كاستقم واسم وفعل ثم حرف الكلم^(١)

واحده كلمة والقول عم وكلمة بها كلام قد يؤم

وهذه الوحدة التي عرفت باسم (كلمة) عرفها النحاة بأنها قول مفرد^(٢) أو لفظ مفرد^(٣) أو قول مفرد مستقل أو متوًى فيه، فالمستقل مثل محمد - جاء والمتوًى فيه مثل فاعل قم وهو الضمير أنت^(٤) وهم يقصدون بكلمة قول أنها لفظ ولما كان القول (الذي هو كل لفظ) يشمل المفرد والمركب والتام والناقص (الكلمة الواحدة وما هو أكثر من كلمة) حددت التعريفات مفهوم الكلمة بقولها (مفرد).

وقد عاب الدكتور تمام حسان هذه التعريفات بما يأتي:

١- أنها لا تفرق بين الصوت والحرف أى بين عملية النطق والنظام الذي أجرى عليه.

٢- أنها تخلط بين الوظيفة اللغوية والمعاني المنطقية والوضعية.

٣- أنها لا تفرق بين وجود الكلمة وعدمها في تعريفها وهذا ما يؤدي إلى الخلط في التفكير^(٥).

(١) الكلم اسم جنس جمعى لأنه يفرق بينه وبين واحده بالتاء واحده كلمة كنبق ونبقة. الخصائص ٢٥/١، حاشية الحضرى ١٧/١.

(٢) الشذور ص ٥.

(٣) الأشمونى ٢٦/١.

(٥) مناهج البحث فى اللغة ص ٢٢٦.

(٤) مع الهوامع ص ٣.

ولذلك عرفها بقوله

«صيغة ذات وظيفة لغوية معينة فى تركيب الجملة تقوم بدور وحدة من وحدات المعجم وتصلح لأن تفرد أو تحذف أو تحشى أو يغير موضعها أو يستبدل بها غيرها فى السياق، وترجع فى مادتها غالباً إلى أصول ثلاثة وقد تلحق بها زوائد»^(١).
ويبدو لى أن تعريف الأقدمين لا عيب فيه بل هو دقيق تماماً وموجز واف بالمعنى المطلوب منه، فهو:

أولاً: لا يخلط بين القول والكلمة واللفظ بل فيه تحديد لها ولا عيب أن تلتقى معانى الألفاظ الثلاثة لاشتغال الأصوات عليها فكل لفظ يمكن أن يطلق عليه قول لأن القول هو ما يتلفظ به وكل لفظ بهذا المعنى هو قول والكلمة ليست إلا لفظاً فلا مانع من إطلاق اسم القول عليها، وهذا لا يعد خلطاً بل يعد اشتراكاً فى جنس هو جزء التعريف مثل الإنسان حيوان ناطق حيث يشترك فى لفظ الحيوان مع الإنسان سائر الحيوانات ولم يعب ذلك أحد والجزء الآخر من التعريف يمنع ما يراد منعه فكلمة ناطق تمنع ما عدا الإنسان من الدخول فى التعريف، وقد أضيف إلى تعريف الكلمة ما منع غيرها من الدخول معها وهو (مفرد) فكلمة مفرد أخرجت المركبات سواء كانت تامة أو ناقصة.

ثانياً: فيما يبدو لى أنه لا يصح إدخال الوظيفة اللغوية فى تعريف أجزاء اللغة، وهذا غير موجود فى تعريف الأقدمين بل هو موجود فى تعريف الدكتور تمام نفسه، وبالرجوع إليه يمكن فهم ما أقول.

ثالثاً: ليس هناك خلط فى التفكير بالإشارة إلى الكلمات المضمرة مثل أنت فى قم بل هذا مجرد تلميح إلى أن الكلمة تارة تكون واضحة مرئية وأخرى مستترة قياساً على وجودها الخارجى.

وقد عرف ميبه الكلمة بأنها ربط معنى ما بمجموعة ما من الأصوات صالحة لاستعمال جرامايقى^(٢)، وهذا التعريف صالح للمورفييمات والجمل وأجزاء

(١) المصدر السابق ص ٢٣٢.

(٢) مناهج البحث فى اللغة ٢٧، ٢٨ وانظر اللغة (فندريس) ص ١٢٤.

الجملة أيضاً، وعند جاردرنر^(١) «أن الكلمات ذات وجهين في طبيعتها فوجه هو المعنى ووجه آخر هو الصوت وحيث تكون الكلمات في ملك كل شخص تكون من ناحيته جواهر طبيعية مكونة من منطقة المعنى من جهة ومن صورة صوت معين من جهة أخرى، هذا الصوت صالح لأن يعاد نطقه بالإرادة والكلمات في حقيقتها نفسية وهي مواد للمعرفة والتكلم مع أنها في أحد جانبي طبيعتها تشير إلى حدث عضوي تمكن إعادته بحسب الإرادة».

والتعريف الأول للكلمة شامل لها ولغيرها، والثاني يدخلها في عالم الفلسفة وعلم النفس «وليس الباحث اللغوي بحاجة إلى أن يبنى أفكاره على أسس غريبة عن منهج اللغة... لاحظ في تعريف جاردرنر استعمال كلمات: الحقيقة - الطبيعة - الملك - المعرفة - التكلم - النفس».

ويلاحظ الدكتور تمام أن تعريف الكلمة لا يمكن اتحاده في جميع اللغات بل لكل منها تعريف يستمد من طبيعتها ووسائلها الخاصة في التركيب كما يقول فندريس^(٢)، ولكن يبدو لنا أن الكلمة التي هي وحدة لغوية تدل على معنى من المعاني لا تختلف بهذا التحديد من لغة إلى أخرى، فلا مانع من وضع تعريف شامل لها فهذا لا صلة له بطريق البناء الصرفي أو غيره من خصائص اللغات.

وأعتقد أن تعريف الكلمة العربية واف بالعرض المقصود، فالكلام والقول - كما رأينا - يعبران عن أصوات تفيد معاني خاصة يراها المتكلمون وتلك الأصوات التي يترجم عنها الكلام هي جوهر اللغة ومعناها والمراد منها كما يتبين ذلك من عرضنا للغة ومفهومها عند عالمنا ابن جنى وغيره من قدامى ومحدثين.

(١) عالم لغوى إنجليزي.

(٢) مناهج البحث في اللغة ص ٢٣٥ وما بعدها وانظر اللغة ص ١٢٤.

اللغة واللهجة

● اللغة

تاريخها

منذ التقى الإنسان بغيره وهو يحتاج إلى وسيلة تفاهم - وكما يقول فندريس «أصبح تكرار القول بأن الإنسان كائن اجتماعي أمراً مبتدلاً ولعل من أدل السمات على الطبيعة الاجتماعية في الإنسان تلك الغريزة التي تدفع على الفور الأفراد المقيمين معاً إلى جعل الخصائص التي تجمعهم مشاعة بينهم ليميزوا بها عن أولئك الذين لا توجد لهم هذه الخصائص بنفس الدرجة»^(١)، وهذه الوسيلة تتنوع من «مجتمع بدائي إلى مجتمع حضاري» فالسلوك الجماعي على ثلاث درجات «بلا رموز جماعية ورموز جماعية غير شعورية وبلغة»^(٢)، ونحن الآن بصدد بيان أرقى الوسائل التي وصل إليها الإنسان في تفاهمه مع أخيه وهي اللغة الصوتية.

ولم تعرف كلمة (اللغة) طريقها إلى الظهور بين مفردات العربية إلا بعد انتهاء القرن الثاني الهجري وقد أطلقت آنذاك على ما جمعه الرواة من البادية عن العرب الفصحاء بعد فشو اللحن... ولم يطلق على الرواة وهم القائمون بفتون اللغة لفظ (اللغوي) إلا في القرن الرابع بعد أن استفاض التصنيف في اللغة وتميزت العلوم العربية واستعجمت الدولة فصار صاحب اللغة يعرف بها... وخلف ذلك اللقب الراوية وممن عرفوا به في القرن الرابع أبو الطيب اللغوي وابن دريد والأزهري وغيرهم^(٣).

ويعتقد أن الكلمة لم ترد في الأدب العربي قبل القرن الثامن الهجري فقد جاءت أول مرة في شعر لصفى الدين الخلي^(٤) وهو:

بقدر لغات المرء يكثر نفعه فتلك له عند الملمات أعوان

(١) اللغة ص ٣٠٢.

(٢) مناهج البحث في اللغة ص ٥٣.

(٣) تاريخ آداب العرب ١/٣٣٧، ٣٣٨.

(٤) توفي سنة ٧٥٠هـ وانظر ديوانه ص ٤٥٣.

فهاهت على حفظ اللغات وفهمها فكل لسان فى الحقيقة إنسان

ويعبر القرآن الكريم عن اللغة بكلمة لسان^(١) مثل قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف: ١٢]، ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٩٢] نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ [١٩٣] عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ [١٩٤] بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥]، وهذه الكلمة هى المشهورة فى اللغات السامية، فى العبرية Lashoon بمعنى اللغة يقال: Hallashoon ha- evrit (اللغة العبرية) وفى بقية الساميات كذلك.

ومن هنا يقول الدكتور أنيس: «يظهر أن العرب القدماء فى العصور الجاهلية وصدر الإسلام لم يكونوا يعبرون عما نسميه نحن باللغة إلا بكلمة اللسان تلك الكلمة المشتركة اللفظ والمعنى فى معظم اللغات السامية شقيقات اللغة العربية، وقد يستأنس لهذا الرأى بما جاء فى القرآن الكريم من استعمال كلمة اللسان وحدها فى معنى اللغة^(٢)، ولكن مادة (ل غ و) التى تعنى الصوت والكلام قد وردت فى القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر المعتمد كثيراً، وسيبين ذلك من حديثنا عن اشتقاقها وتصريفها، وتطلق كلمة لغة عند القدماء ويراد منها اللهجة^(٣) وتقابل باللغات الأجنبية *longue* فى الإنجليزية بمعنى لسان أو لغة^(٤)، *langue* فى الفرنسية بالمعنى السابق^(٥)، وبذلك تتفق اللغتان الإنجليزية والفرنسية مع العربية فى التعبير باللسان عن اللغة وفيهما مع ذلك كلمات أخرى لمعنى اللغة لا تطلق على اللسان وقد تطلق على اللهجة أيضاً، وهذه الكلمات فى اللغات التى تقدمت تفهم اشتراكها فى الصدور عن أصل واحد.

(١) وردت كلمة لسان بمعنى اللغة ٨ مرات فى القرآن الكريم، انظر المعجم المفهرس ص ٦٤٧.

(٢) فى اللهجات العربية ط ٢ ص ١٤.

(٣) المصدر السابق ط ٣ ص ١٦.

(٤) قاموس إنجليزي عربى تأليف محمد طه محمود ط الاستقامة ص ٣٨٣ وتطلق بمعنى اللغة أيضاً فى الإنجليزية كلمة *Language* ص ٢١٦.

(٥) قاموس فرنسى عربى تأليف إسكندر شحاتة لندن ط ٢ ص ٢١٠ وتطلق كلمة *Langage* بمعنى لغة أو لهجة أو نطق أو أسلوب وهناك ألفاظ أخرى غير ذلك.

اشتقاقها وتصريفها:

يذكر اللغويون ومنهم ابن جنى وأرباب المعاجم أنها مشتقة من الفعل لغا يلغو إذا تكلم أو من لغى يلغى - بكسر الغين فى الماضى وفتحها فى المضارع - إذا لهج، يقول ابن جنى: أما تصريفها ومعرفة حروفها فإنها فُعلة من لغوت أى تكلمت وأصلها لغوة ككثرة وقلة وثبة كلها لاماتها واوات لقولهم كروت بالكرة وقلوت بالقلّة ولأن ثبة كأنها من مقلوب ثاب يثوب وقالوا فيها لغات ولغون^(١) ككرات وكرون وقيل منها لغى يلغى إذا هذى ومصدره اللغا قال:

ورُبَّ أسرابٍ حجيجٍ كُظْمٍ عن اللغنا ورفث التكلم

وكذلك اللغو قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان:

٧٧] أى بالباطل وفى الحديث: «من قال فى الجمعة صه فقد لغا» أى تكلم^(٢).

ويأخذ عليه أستاذنا الدكتور قناوى أنه غير جار على المشهور من القواعد الصرفية التى تقول: إذا حذف حرف من الموزون حذف ما يقابله من الميزان، وكون أصلها لغوة يلزم عليه الجمع بين العوض والمعوض وقلما يجتمعان^(٣)، ويجرى هذا النقد على ما قاله الأزهرى وغيره من أن أصلها لغوة بوزن فُعلة^(٤)، وما نبه عليه أستاذنا الدكتور قناوى ملحظ صرفى دقيق^(٥).

ومن نص ابن جنى السابق يفهم أنه يرى اشتقاق لغة من لغا يلغو بمعنى تكلم أو من لغى يلغى بمعنى هذى، وبلاشتقاق الأول قال صاحب القاموس وبالثانى قال صاحب المفردات، وفى القاموس: لغا لغواً تكلم ج لغات ولغون^(٦)، وفى المفردات: لغى بكذا أى لهج به لهج العصفور بلغاه أى بصوته ومنه قيل للكلام الذى يلهج به الناس فرقة فرقة لغة^(٧) ومع ذلك ذكرا الاشتقاق الثانى وما يتعلق

(١) ملحق بجمع المذكر.

(٢) الخصائص ١/٣٣.

(٣) محاضرات أستاذنا الدكتور قناوى.

(٤) اللسان ٢٠/١١٦، ١١٨.

(٥) الأشمونى ٤/٣٤٠ - ٣٤٣ ومنار السالك ٢/٣٦٦، ٤١١، ٤١٢ وانظر الكتاب وتعليق الاعلم على قول

الشاعر (هما نفاثا فى فى من فمويهما) ٢/٨٣.

(٦) المفردات ص ٤٥٢.

(٧) القاموس ٤/٣٨٦.

بالمادة من معان لغوية يقال: لَغَيْتَ تَلْغَى نحو لَقَيْتَ تَلْقَى واللغو من الكلام ما لا يعتد به وهو الذى يورد لا عن روية وفكرة فيجربى مجرى اللغا وهو صوت العصفير ونحوها من الطيور قال أبو عبيدة لَغَوٌ وَلَغًا نحو عَيْبٍ وَعَابٍ - وأنشد (عن اللغا ورفث التكلم)، وقد يسمى كل كلام قبيح لغوا قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا﴾ [النبا: ٣٥] وقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥] وقال: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا﴾ [الواقعة: ٢٥] وقال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣] وقال: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٥٢] أى كفوا عن القبيح ولم يصرحوا وقيل معناه: إذا صادفوا أهل اللغو لم يخوضوا معهم ويستعمل اللغو فيما لا يعتد به ومنه اللغو فى الأيمان أى ما لا عقد عليه وذلك ما يجربى وصلا للكلام بضرب من العادة قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥] ومن هذا أخذ قول الشاعر:

ولست بماخوذ بلغو تقوله إذا لم تُعمد عاقدات العزائم
وقوله تعالى: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لِغْيَةً﴾ [الغاشية: ١١] أى لغوا فجعل اسم الفاعل
وصفا للكلام نحو كاذبة وقيل لما لا يعتد به فى الدية من الإبل لغو وقال الشاعر:

(كما ألغيت فى الدية الحوار)^(١)

وذكر صاحب القاموس بعض ما تقدم^(٢):

ويبدو من استعراض مادة (لغو) فى الكتابين السابقين أن الأول يميل إلى ترجيح أحدهما والثانى بالعكس على ما بينته.

وقيل إن فعله لغى إلا أنه فُتح حرف الحلق فيكون ماضيه لغا ومضارعه يلغو ويلغى^(٣). وقد قصدت بذكر كلام اللغويين بنصه وطوله أن أبين تأصل كلمة (لغة) فى العربية وموادها وقد استعملت فيما أوردته بمعناها الحقيقى الذى هو الأصوات الإنسانية وغيرها وما يمكن أن يشبهها من معان مختلفة.

(١) المفردات ٤٥١، ٤٥٢ والحوار - بضم الحاء وكسرهما - الأخيرة رديئة عند يعقوب، ولد الناقبة من حين يوضع إلى أن يظلم ويفصل، فإذا فصل عن أمه فهو فضيل، وقيل: هو حوار ساعة تضعه أمه خاصة. اللسان ٣٠١/٥.

(٢) القاموس ٣٨٦/٤.

(٣) لسان العرب ١١٧/٢٠.

وبناء على ذلك لا يقبل القول الذى ذهب إليه بعض المحدثين من أن كلمة لغة دخيلة على العربية وأنها معربة من كلمة Logs الإغريقية التى تعنى كلمة أو فكرة ويعزز ذلك - عندهم - التشابه بين الكلمتين^(١) والزعم بأن الكلمة لم ترد فى آداب العرب المتقدمين ولا فى القرآن الكريم زعم باطل، فقد ثبت لدى عيينين وقوعها فى القرآن وقول العجاج السابق كما وقعت فى الحديث «من قال لصاحبه يوم الجمعة... إلخ كما ورد فى المعاجم العربية (لغا يلغو) إذا تحدث ولغى يلغى إذا لهج مع تصرفات أخرى لمادة (لغو) ونصوص كثيرة موثوق بها وذلك كله يثبت عربية كلمة (لغة) وإن شاركت غيرها من اللغات الأخرى للتشابه فى الأصل الأول للغة الإنسان.

ننتقل بعد ذلك إلى بيان معنى (اللغة):

حدها ابن جنى بأنها: أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم^(٢) ووافقه على ذلك سائر القدماء من علماء اللغة العرب^(٣) ويميل إلى ذلك علماء الاجتماع فهى عندهم:

نظام من رموز ملفوظة عرفية يتعاون ويتعامل بها أعضاء المجموعة الاجتماعية المعينة.

فيستفاد من كل من هذين التعريفين أن اللغة وسيلة مهمة فى الربط بين أفراد المجتمع والتعبير عن شئونهم المختلفة فكرية كانت أو غير فكرية، من كل ما يهمهم فى حياتهم الخاصة والعامة.

يبد أن لبعض الباحثين ملاحظات عليه جد مفيدة، فهذا التعريف يقصر اللغة على الأصوات الإنسانية المعبرة عن أغراض ويخرج غيرها كالأصوات الإنسانية التى لا تعبر عن غرض، كغطيط النائم، وتخرج كذلك أصوات الحيوانات المعبر

(١) اللسان والإنسان د. حسن ظا ط ص ١٣١، ١٣٢.

(٢) الخصائص ٣٣/١.

(٣) القاموس ٣٨٦/٤ ولسان العرب ١١٨/٢٠.

بها عن أغراض وما كان المعبر به عن الغرض غير صوت، كالعقد والنصب والإشارة بالرأس أو غيرها من أعضاء الجسم، والإشارات التي تستعملها السفن، والإشارات التي تستخدم في الجيوش، وما يتفاهم به الصم وبعض السكان الأصليين في أمريكا، وأستراليا وبعض العشائر في أواسط أفريقيا، وما يظهر على الإنسان من الانفعالات النفسية التي تظهر في حالات المرض والغضب والفرح والحزن ونحو ذلك، وكذلك الأصوات الصادرة عن كل ما له صوت أو له صلة بحدوثه ولو كان جماداً آلة أو نحوها كأصوات المدافع وآلات الحرب.

وقد عد صاحب هذا النقد خروج ما تقدم عن نطاق اللغة - في رأى الأقدمين - قصوراً في التعريف، وبنى ملحظه على أن هذه الأشياء الخارجة عن التعريف أصبحت - على وجه الحقيقة العرفية - من وسائل التفاهم فكان ينبغي أن تدخل فيه، لكن تعريف الأقدمين خص اللغة بما تقدم أولاً.

ويدل لذلك أن مرادهم بالأصوات ينحصر في ذات المقاطع لأنها هي المعبرة عن الأغراض، لا الأصوات المرسله كالتى تصدر من الحيوانات، والمراد بالقوم بنو آدم، ولا يشمل معنى هذا اللفظ غيرهم، فأما استعماله للسجن في مثل قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٣١] فهو استعمال مجازى، فلا يعترض به على الحقيقة^(١).

ولعل علماءنا القدامى - حين خصوا اللغة - في اصطلاحهم العلمى - بما يصدر عن الإنسان من الأصوات المعبرة عن الأغراض قصدوا الحديث عن اللغة التى تلبى حاجات الجماعة، ويهتم بها المجتمع لأنها الوسيلة التى تفى بأغراض الناس وشئونهم فى الحياة.

ولذا نرى أن التعريف واف بالغرض المطلوب.

(١) انظر محاضرات فى فقه اللغة لأستاذنا الدكتور محمد قناوى، وقد خالف الأستاذ عبد الله العلايلى سائر اللغويين فعد اللغة غاية لا وسيلة، وهو قول ينبو عنه التحقيق. انظر: مقدمة لدرس لغة العرب ص ١٥ - ٢٤.

وعلماء الفلسفة والمنطق يبنون تصورهم لها على أساس وظائفها التي حددها
الأستاذ جفونز وهي:

١- أنها وسيلة للتوصيل.

٢- أنها مساعد ألى للتفكير.

٣- أنها أداة للتسجيل والرجوع.

ويبدو أن الوظيفتين الأولى والثالثة واحدة فهما عبارة عن: توصيل الأفكار،
سواء أكان ذلك بالأصوات المنطوقة بالفعل، أم بالتسجيل والكتابة ليرجع إليها فيما
بعد^(١).

ويعرفها علماء النفس بأنها: استعمال رموز صوتية منظمة للتعبير عن الأفكار
ونقلها من شخص إلى آخر^(٢).

ويبدو أن المناطقة وعلماء النفس يقصرون اللغة على نقل الأفكار فحسب
وذلك تحديد غير واف بالغرض، فاللغة لا تقف عند حد التعبير عن الأفكار بل
هناك موضوعات أخرى تخص الناس فى شؤونهم العامة، وهناك أحداث
الترفيه والتسلية، فقد تستعمل للتعبير عن العواطف والمشاعر المختلفة، وقد
تستخدم للترنم بالغناء، وسوق القصص، والحكايات والأساطير، وكل ذلك
للتسرية عن النفس، والتخفيف من أعباء الحياة ومشكلاتها.

ومعنى ذلك أن اللغة أكثر من أن تكون أداة للفكر، أو تعبيراً عن عاطفة. اللغة
جزء من كياننا السيكلوجى الروحى، وهى عملية فيزيائية واجتماعية^(٣)، وهذا كله
يثبت أن اللغة هى الرابطة الحيوية بين أفراد المجتمع والتي تعبر عن حاجاته، وتجمع
شملة، وتوحد أهدافه وهذا ملاحظ فى تعريف علماء العرب، ووافقهم عليه
علماء الاجتماع.

(١) اللغة بين الفرد والمجتمع (جيسرسن) ص ٨ واللغة والمجتمع د. السمران ص ١٣.

(٢) اللهجات العربية د. نجما ص ٥.

(٣) محاضرات فى اللهجات د. أنيس فريحة ص ٩ واللغة بين الفرد والمجتمع ص ٩ - ١١.

• اللهجة (١):

اشتقاقها:

ورد اشتقاقها بوجهين:

الوجه الأول: أنها مأخوذة من لهج الفصيل يلهج أمه: إذا تناول ضرع أمه يمتصه ولهج الفصيل بأمه يلهج إذا اعتاد رضاعها فهو فصيل لاهج.

الوجه الثاني: أنها مشتقة من لهج بالأمر لهجا ولهوج وألهج يعنى أولع به واعتاده أو أغرى به فثابر عليه واللهج بالشئ: الولوع به (٢).

وكل من الوجهين مناسب لوجود العلاقة بين أصل الاشتقاق وطريقة النطق التي يتبعها الإنسان فاللغة يتلقاها الإنسان عن ذويه ومخالطيه كالفصيل الذي يتناول اللبن من ضرع أمه فيمتصه كما أنه حين يتعلم اللغة يكلف بها ويولع كمن يتعلق بشئ معين ويولع به (٣).

واللهجة هي لغة الإنسان التي جبل عليها واعتادها ونشأ عليها وقد أطلقت اللهجة على اللسان أو طرفه فهو آلة التحدث بها.

معناها:

اللهجة: طريقة معينة في الاستعمال اللغوي توجد في بيئة خاصة من بيئات اللغة الواحدة.

ويعرفها بعضهم بأنها: العادات الكلامية لمجموعة قليلة من مجموعة أكبر من الناس تتكلم لغة واحدة (٤).

وهذه الطريقة أو العادة الكلامية تكون صوتية في غالب الأحيان ومن ذلك -

(١) يعبر القدماء عن اللهجة بكلمة (اللغة) فقد عقد ابن جنى بابا في الخصائص بعنوان (باب اختلاف

اللغات وكلها حجة) وابن فارس يعقد بابا في الصحابي بعنوان (اختلاف لغات العرب من وجوه)

وكذلك علماء آخرون كأبي علي القالي في (الأمالي في لغة العرب).

(٢) تهذيب اللغة ٥٤/٦، ٥٥ والصحاح ٢٣٩/١ ولسان العرب ١٨٣/٣.

(٣) اللهجات العربية د. نجا ص ٩١.

(٤) علم اللغة العام لروبنز ص ٥٢ ومقدمة لدراسة فقه اللغة د. محمد أبو الفرج ص ٩٣.

فى لهجات العرب القديمة - : العننة وهى قلب الهمزة المبدوء بها عينا وهذه الصفة معروفة عند قيس وتميم يقولون فى أنك عنك، وفى أذن عذن على حين أن بقية العرب ينطقون الهمزة دون تغيير فى أوائل الكلمات .

كذلك : الكشكشة وهى فى ربيعة ومضر يجعلون بعد كاف الخطاب فى المؤنث شيئاً فيقولون: رأيتكش وبكش وعليكش فمنهم من يشبها حالة الوقف فقط وهو الأشهر ومنهم من يشبها فى الوصل - أيضاً - ومنهم من يجعلها مكان الكاف ويكسرها فى الوصل ويسكنها فى الوقف فيقول: منش وعليش^(١) وغيرهم من العرب يبقى الكاف دون تغيير. كذلك: العجعجة فى لغة قضاة يجعلون الياء المشددة جيما يقولون فى تميمي^(٢) تميمج^(٢) وغيرها يبقى الياء ويجرى مثل ذلك فى العاميات فى مصر تنطق الهمزة مسهلة فى رأس وفأس فيقولون: رأس وفاس، كما يدلون الثاء سينا فيقولون فى ثبت: سبت وفى بحوث: بحوس وغير ذلك كثير^(٣).

وهذا كله لاختلاف البيئات العربية وعوامل الاجتماع عندها وتناول الأزمان عليها.

وقد تكون الطريقة متعلقة ببنية الكلمات ونسجها، فاسم المفعول إذا صيغ من الفعل الثلاثى الأجوف فإن عينه تعل عند الحجازيين سواء أكان واوياً أم يائياً مثل: مقول ومدين. ولكن التميميين يعلون الواوى ويتممون اليائى فيقولون: مبيوع ومديون، وعلى طريقة بنى تميم تجرى اللهجات العامية فى مصر وبعض جهات اليمن ونجد.

وقد يكون اختلاف الاستعمال اللغوى من جهة المعانى، وتذكر كتب اللغة كثيراً من ذلك ككلمة (وثب) فهى عند (حمير) بمعنى (جلس) وعند عرب الشمال بمعنى (قفز) و(السدفة) عند تميم (الظلمة) وعند قيس (الضوء)^(٤).

(١) المزمهر ١/ ٢٢١، ٢٢٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) وفى الفرنسية نجد بعض القرى تنطق (a) فتحة حيث تنطق قرى أخرى (e) فتحة عمالة وتنطق بعضها

(o) ضمة مفتوحة حيث تنطق القرى الأخرى (u) ضمة صريحة. اللغة ص ٣١٠.

(٤) المزمهر ١/ ١٨٨، ١٩١.

ولكن الاختلاف الصوتي يلعب الدور المهم في اختلاف اللهجات وتنوعها، واللهجة اتجاه منحرف داخل اللغة، وكل من اللغة واللهجة يتصلان بالصوت، فاللغة ترتبط به من حيث إفادة المعنى، واللهجة من حيث صورة النطق وهيئته.

والاختلاف الصوتي يرجع إلى ما يأتي:

- ١- اختلاف في مخرج بعض الأصوات اللغوية كالجيم فالعربية من وسط اللسان والمصرية من أقصاه مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى.
- ٢- اختلاف في وضع أعضاء النطق مع بعض الأصوات كترقيق الحرف وتفخيمه عند القبائل المختلفة.
- ٣- اختلاف في مقاييس بعض أصوات اللين. إذ إن أى انحراف يصيب تلك الحروف التي تعرف بحروف المد عند الأقدمين يؤدي إلى اختلاف في نطقها.
- ٤- تباين في النغمة الموسيقية للكلام: فذلك يختلف بين القبائل وعلى حسب البيئات المختلفة.

٥- اختلاف في قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة حين يتأثر بعضها ببعض، فالجمهرة من العرب تقلب الواو تاء عند وقوعها فاء لافتعل مثل، اتصل هربا من تلاعب الحركات، ولكن الحجازيين لا يقلبونها تاء، فتأثر بالحركات السابقة عليها فتقلب على حسب الحركات واوا بعد الضمة، وألفا بعد الفتحة، وياء بعد الكسرة فيقولون: إيتصل - ياتصل - موصل... (١).

ويقول فندريس عن الفرنسية: «إننا نجد فروقا ذات بال بين قرية وأخرى حتى يمكننا أن نميز لهجة كل قرية منها بوصف مخالف لغيرها من حيث الصوتيات، ومن حيث النحو، ومن حيث المفردات (٢)، واللهجة إذا اتسمت بخصائص بارزة بحيث توافر لها ما يجعلها تستغنى عن أصلها، وتفى بحاجة الجماعة التي تتحدث بها أمكن أن تسمى لغة، وذلك حين تنضج قواعدها ونظمها الصوتية والصرفية

(١) اللهجات العربية د. نجا ص ٧ - ١٠ وفي اللهجات العربية د. أنيس ص ١٦ بتصرف. وانظر ص ٢٢٢ من هذا الكتاب فقد نسب ابن جنى قلبها تاء إلى الحجازيين.

(٢) اللغة ص ٣١٠.

والتركيبية بحيث تجتمع لها عناصر الإفادة الكاملة والتعبير السليم كاللهجات العربية في مصر، والمملكة العربية السعودية، والعراق وسوريا ولبنان وغيرها من سائر البلاد العربية إذ يطلق عليها اسم (لغات) باعتبار وفائها بحاجة مجتمعاتها، وباعتبار صلتها باللغة العربية الأم تعد كل منها لهجة لأنها لم تستغن عنها، بل إنها استمدت - ولا تزال تستمد - منها مقومات حياتها الأصلية.

وقد تساعد عوامل كثيرة على استقلال اللهجة وصيرورتها لغة قائمة بذاتها مشهورة لدى مجتمعتها، بل وسواء من المجتمعات الإنسانية التي تكون على صلة بأهلها، وهذه العوامل يمكن لكل منها أن يقوم بهذا الدور في استقلال اللهجة على النحو السابق وهي:

- ١- عامل عسكري - سياسى .
- ٢- عامل دينى .
- ٣- عامل أدبى .
- ٤- عامل اجتماعى طبقى .

وقد يتدخل عاملان أو ثلاثة في تكوين هذه اللهجة .

مثال الأول: اللهجات الروسية التشيكية والبلغارية أصبحت لغات رسمية معترفًا بها عندما استقلت هذه البلدان عن روسيا .

مثال الثانى: ارتقاء العربية الفصحى من لهجة حجازية نجدية إلى مرتبة أدبية سامية بفضل نزول القرآن الكريم بها .

مثال الثالث: لغة إيطاليا الحديثة فهى اللهجة التي كتب بها أدباء وشعراء أمثال: دانتي وبترايك ولوكاتشيو وأصلها لهجة فلورنسا .

مثال الرابع: لهجة باريس - بعد القرن السابع عشر - أصبحت المثال الأدبى الرفيع الذى ينبغى لكل كاتب ناشئ أن يحتديه . وذلك ينطبق على لغتنا العربية النموذجية التي كان أساسها لهجة قريش، ثم استطاعت أن تتغلب على اللهجات الأخرى لتلك العوامل .